

التداولية من الثابت إلى المتحول

د. مكينة محمد جواد

جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

كثيرا ما كان الدرس التداولي رهين كم من التناقضات والانجرافات، التي لم تقدم الكثير مقارنة بالمسعى المراد بلوغه، وخلق أبعاده الجمالية في مجال اللغة واللسانيات عموما، وفي نطاق مطلبها وبعدها التواصلية الاستعمالي تحديدا، إلى أن جاءت مرحلة التعالق، تلك التي بات المشهد اللغوي والنقدي الحديث يفرضها على هذا الدرس، والذي بدأ يبشر بضرورة تجاوز لغة الوضع والقصد، إلى مجال الخرق والتجاوز والانتقال من نطاق الوعي والقصد إلى عوالم الفوضى والعبث، كل هذا وغيره يأتي في سياق تأسيس مشروع جديد، ورسم معالم محاولة جادة للقفز من وراء اللغة، والارتحال بعيدا عنها للوقوف على عوالم المتضمن والمتواري منها.

الكلمات المفتاحية: التداولية، التواصل، القصد، اللغة، المتكلم، المخاطب، النظريات اللسانية، المعنى.

Abstract

The pragmatic course was often hostage to a lot of fallacies and bare bets, which did not offer much in comparison to the endeavor to be achieved and the creation of aesthetic dimensions in the linguistic field in general. Within the scope of its demand and then specifically the communication continuum, as long as the structural linguistic studies, and for the natural and direct presence in the language, its unfairness and implication in devoting the logic of trust in its data which made the pragmatism floundering in the space of the emptiness and the clutches of closed space. On the one hand, it was not able to answer the questions of the human, nor, on the other hand, was it able to keep pace with the modern intellectual transformations that began to float on the linguistic studies. Especially those related to the axes of post-modernity, until the phase of comments which the modern scene has imposed on this course. So, it lived side by side with a number of modern knowledge streams, particularly those relating to the concept of poeticism, which was the cause of all that was not intentional to use. The latter, which soon began to herald the need to transcend the situational and intentional language, and research on the banks and margins, where the language of misleading that made even the language of use, the study and research. Especially in unintentional scope, in this situation, opens up new horizons for human, to carry him to move from the fixed world to the transformed worlds, this world that began to open new seedbeds, such as the question of who speaks? Is the

تاريخ تسليم البحث: 01 ديسمبر 2015.

تاريخ قبول البحث: 12 فبراير 2016.

speaker or the message on the speaker's tongue, or the addressee who seeks to drown his intent on the intent of both the sender and the message, all this and other comes in the context of the establishment of a new project; a serious attempt to jump behind the walls of the language, and wandering away to find out the worlds contained therein.

Keywords: Pragmatic course, aesthetic dimensions, intellectual transformation, poeticism concept, intentional language

يندرج حديثنا في هذه الأوراق، حول رؤية تحاول أن تؤسس لمعطى علائقي هام، فرضته حتمية إيجاد حلقة الوصل وهمزة الوصل بين قطبين فنيين هامين. يندرج الأول منهما ضمن مساحة لغوية واسعة تتداخل فيها الخيوط والحدود، لتتماس وتنصاع مع المعطيات النقدية، لاسيما منها في مواضيع عدّة، كالخطاب والنص والأثر والقارئ وغيرها من المباحث، كيف لا وقد أضحت التداولية اليوم علما جديدا للتواصل، ورؤية مجهرية دقيقة تسعى لأن تدرس اللغة في أطر استعمالاتها الخفية، هذه الأخيرة التي تتنوع بتنوع السياق واختلاف المقاصد، سواء بين المتكلم أو المخاطب، ولعل ما جعل الحقل التداولي محل اشتغال الباحثين وانكبابهم على مباحثه، هو منطق الشمولية الذي غلب على مجالاته، هذا المنطق الذي فتح أبوابه لكل ما هو لغوي نقدي وفني تبعا، ومادام هذا هو المسار والمسلك الذي خطه هذا العلم لذاته.

فلا جرم إذا أنه سيكون مفترق طرق كم كبير من الروافد العلمية والمعارف الأدبية، خاصة وأنه يجعل من مسائل المعنى ومباحثه شغله الشاغل، ليجد هذا العلم نفسه الآن منسلخا من النظريات اللسانية الأولى التي أسسته، وكانت حاضنته التي انطلق منها، ليرقى بعدها وفق مناهج وأطر، هي كلها أمانة من أمارات التحول والتطور التي باتت تميّز ملامحه الجديدة، فليست مثلا الآليات اللغوية هي وحدها الآن القادرة على الكشف والبحث عن الخفايا وأبعاد هذا العالم، بل بات للدرس النقدي الذي شرعت حلقات الربط تتجلى بينه وبين الدرس التداولي، بات لهذا الدرس أيضا كلمته في التنقيب والفك والتعاطي، وفق رؤية وفكر جديدين يصبّان في الهدف ذاته، ذلك الذي تحاول التداولية أن تصل إليه وتوثقه، لذلك نلفي الدرس التداولي يتلاقى بالعديد من المناهج النقدية الحديثة كالسيمولوجيا، بل أكثر من ذلك صار البحث التداولي يدين في الكثير من مباحثه إلى العديد من الأعلام، كما هو الحال بالنسبة لموريس من خلال تقسيمه الثلاثي بين حقول علم العلامات: النحو والدلالة والتخاطبية أو التداولية، ناهيك عن إسهامات بيرس أيضا، لتتراوح بذلك اتجاهات التداولية في دراستها للغة والمعنى، بين ما هو طبيعي وضعي، وبين ما هو فني إيحائي، طالما أن اللغة كانت ولأزالت الصهوة التي يركبها الإنسان ليفهم ذاته ومحيطه الذي يعيش فيه، فهم هو أقرب ما يكون للقراءة التي تسعى لأن تتجاوز المنطوق لتبحث عن المفهوم، تخترق الحاضر لتصل إلى الغائب، تتجاوز المصحح لتنقّب عن المضمّر.

ومادامت لبنة الفكر التداولي الأولى هي على الدوام الاهتمام بكل ما له صلة بالتخاطب قصد الوصول للمعاني كما أسلفنا، فإنه من اللازم الآن أن ننظر إلى هذه الرسالة أو الحوارية وفق وجوه وملامح جديدة، تتعالى عن ذلك الخطاب النفعي البرغماتي ذي الآثار السطحية والمحدودة والمباشرة، لتخلق بعيدا نحو خطابات أخرى فنية وشعرية وأدبية ملغزة، الآثار فيها لا تمحى، بل تكون ردود أفعال وخدوشا لا يقهرها الزمن، وهنا تتموضع التداولية وفق أطرومناهج جديدة لا تغيب الطبيعي الوضعي باعتباره الأصل، ولكن في الوقت ذاته لا تتركز إليه ولا تعترف بمحدوديته، بل تتجاوزه طارقة أبواب الفني الموحى الغائب الشرود والمتملص.

هذا الطراز من المعاني الذي أضحى الآن في قائمة أولوياتها، طالما أن اللغة استعمال لهذا الأخير، الذي ليس بالضرورة أن يكون مباشرا أو شكليا أو نفعيا كما ذكرنا، وطالما أن المعنى حمّال وجوه، ومثله الخطاب الذي ليس بالضرورة أن يكون صريحا، فالتضمين الآن قد صار صورة من صوره وأحد وجوهه التي يتلاعب فيها على مقاصد غيره، سواء كان ذلك المتكلم أو المخاطب، ذلك أنه كثيرا ولاسيما في ميزان النقد تلغى مقاصد المرسل، فتقوله الرسالة مالم يرد قوله، ولو كان ذلك على حساب المخاطب، فإنه كثيرا ما يراوغه ويلاعبه، لذلك لا يجب البحث عن المعنى في المتون، بل في الحواشي والضافات على حدّ تعبير علي حرب في كتابه نقد النص، وهذا بالتحديد أحد أوجه التقارب والتماس مع المباحث التداولية مثلما أوردها غرايس عندما قسم دلالة الخطاب إلى صريح وضميني، أو ما أطلق عليه تسميته بالقصدي وغير القصدي، هذا الأخير الذي تلقفته المباحث التداولية في ظل مفهوم الشعرية، باعتباره تجاوزا وقفزا وراء أسوار اللغة تلك اللغة العادية والمألوفة، وذلك كون الشعرية هي كل خروج عن المألوف والمتداول والشائع من الاستعمال، حيث يتوطّد منطق العدول والانزياح في المقاصد والغايات، وحيث يخبر الضميني عن لغة ثانية تتجاوز ذاتها وحرفيتها.

إنه انتقال من اللغة الكلاسيكية البدائية إلى لغة أخرى هي لغة الإيحاء والفنية، تلك التي تتداخل فيها المقاصد والنوايا، ويصل الأمر إلى حصول تبدّل في مسارات السياق وفي آلياته، فليس بالضرورة أن تحديد الضميني المغيب هو بالعودة إلى السياق، ذلك أن الاحتكام إلى سياق المتكلم ليس كفيلا دائما بتحديد هذه المقاصد ولا حتى سياق المخاطب، إذ للنص سياقه الخاص أيضا، هذا الكائن الذي أضحى له وجود فعلي مساهم في إضافة جماليات جديدة في المعنى، فتراه يوجد وينجب سياقه الخاص به ولو بلغة العنف كما أشار إلى ذلك جون جاك لوسركل في كتابه عنف اللغة، وانطلاقا من هذه التصورات ندرك ولو مبدئيا أن الدرس التداولي، درس لا يعترف بالحدود والحواجز بين المعارف والمفاهيم، فهو في رحلة سعي دؤوب لإقامة الجسور والروابط، إذ يتراءى لنا ذلك في صور متداخلة وهيئات متشابكة، إلا أن قابلية

تلاقحه وتناسبه مع الآخر من مباحث وحقول تبقى حاضرة، بل من أهم ميزاته وخواصه، "فالتداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، وعليه فإنّ الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية، يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة، لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال... فنحن نرى أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة"¹

التداولية وإكراهات الباحث:

لم تكن التداولية في منطلقاتها مجرد مبحث فلسفي هش تتغشاها الميتافيزيقا من كل جانب، بل ربما يعود سرّ انغماسها وتحليلها الدقيق للظواهر اللغوية هو انسلاخها من برائن المفاهيم الميتافيزيقية، التي كثيرا ما طوّقت مجالات بحثها وقوضتها، وفي السياق ذاته يجب الحديث عن مرحلة ما بعد الحداثة، باعتبارها طفرة نوعية في المجال اللغوي والأدبي بشكل عام، الأمر الذي كان له انعكاساته الإيجابية على الدرس التداولي، فجعله أكثر مرونة وعمقا للوصول إلى آليات وتقنيات جديدة لفك هذه الظواهر اللغوية ودراستها بعمق وجدية، أتاحت لهم القدرة على تغيير المواقف وقراءة السابق قراءة جديدة وثانية، فالظاهراتية اللغوية التي دعا إليها هوسرل حتى وإن لم يتقبلها كثير من أعلام التداولية، كونها قد مسّت جوانب بعيدة كل البعد عن المباحث التداولية، إلا أن مرحلة ما بعد الحداثة والثورة التي أحدثتها، جعلت أعلام التداولية من جهة أخرى يؤمنون بضرورة تجاوز البعد الاستعمالي العادي للغة واعتبارها مجرد مرحلة أولية، ولكنها في الوقت ذاته ليست هي منتهى المراحل هذا من جهة، من جهة أخرى كان للظاهراتية اللغوية دورها الفاعل والمساهم في إرساء قواعد وملامح جديدة لنظرية المقصدية intentionnalité هذه النظرية التي استثمرها وطورها أوستين موظفا إياها ومن بعده تلميذه سيرل، والذي اتخذها مبدأ هاما في التعرف على قوانين ومعايير وقواعد لغة التضمين والتبطين في الاستعمال اللغوي، الأمر الذي كان له آثاره ونتائجه وبخاصة على مستوى الاتجاهات الوظيفية للغة.

التداولية بين مبررات التحول وأفاقه :

يسعفنا التعاطي التداولي الآن في وضع النظم التي بات يخضع لها الاستعمال اللغوي أيا كانت طبيعته، هذا الحيز القادر على معرفة مدى طاقات الانسان لخلق هذا الجسر والحوار مع

الأخر، لتصير الخلخلة والتحول الهام الذي لحق بالدرس التداولي في ظل التحولات الفكرية الجديدة، وتحت طائلة مرحلة ما بعد الحداثة، ولاسيما في مجال تركيزها على فلسفة المعنى، هو ضروري السطحي وعدم الركون إلى البنية اللغوية وحدها، مثلما فعلت اللسانيات البنوية، وعدم الاعتراف بمنطق المخاطب المحدد، إذ بات الأمر يدور الآن حول القارئ الافتراضي الذي أضى له دور فاعل في التأثير على المتكلم وعلى رسالته تبعاً، ولعل هذا كان بفعل تأثير هذا الدرس بالعديد من المعارف من جهة، والتصورات الحديثة لمفهوم الشعرية من جهة أخرى، وتحديداً هذا الأخير الذي بدأ يركّز على اللامألوف واللامتداول سواء في اللغة أو الاستعمال، وما يطرأ عليه من جماليات أصبحت تمثل الآن حقلاً خصباً وجديداً يمارس عليه الدرس التداولي مظاهر الجدّة والتحول في طياته.

لذا كان من أهم مهام التداولية "بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر"² وبما أن التداولية صارت ترفض وتنأى عن أن تكون الحلقة النهائية التي تبحث فيها اللسانيات البنوية، فإن معالم التحول والتجديد والبحث ستكون مسارها الجديد ومشروعها الذي تسعى لبنائه، لقد أضى تلاقحها مع كل ما هو مغيب ومعتّم ورمزي ملغز في الدرس اللغوي والنقدي بشكل عام، أهم معلم وأفق تسعى لإقامة صرحه وتحقيق أهدافه وطموحاته، ولعل الفضل يعود إلى تلك القطيعة التي بدأت تنشأ بين الدرس التداولي واللسانيات البنوية، تلك الهوة التي رسّخت معالمها مرحلة ما بعد الحداثة، الأمر الذي أسفر عن رؤية جديدة للتعامل مع اللغة، رؤية تتعمق في طيات طرائق الاستعمال وطبقات المخاطبين ومناحي المقاصد الظاهرة والباطنة، ناهيك عن انزياحات السياق ومضمرات القول، كل هذا أسفر عن ظهور جهاز مفهوماتي متكامل كالفعال الكلامي والقصدية ومتضمنات القول والاستلزام الحوارية، وهي كلها مفاهيم تحاول أن تؤسس لمرحلة جديدة للتعاظم مع الظاهرة اللغوية، وللتفاعل مع الحقول المعرفية الجديدة التي بدأ الدرس اللغوي بالتفاعل والتداخل معها.

لقد كان للتعقيد الذي طالما تميزت به اللغة والرمزية التي طبعتها، دور فاعل في الارتقاء بالتداولية نحو آفاق جديدة تبحث عن أكثر من منهج وألية لفك هذا التعقيد وفكّ شفرات هذه الرموز وتحليل مستويات اللغة فيها، لاسيما إذا ما بدأنا ننظر إلى اللغة من الناحية الوظيفية، هذا المنحى الذي تقاطع معه الدرس التداولي فبات "يدرس اللغة من الناحية الوظيفية fonction perspective وهو...يحاول أن يوضح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية"³ لقد أضى المعنى الكامن الشغل الشاغل للدرس التداولي، ناهيك عن الوقوف عن أسباب هذا التخفي والانحراف وأغراض هذا العدول وما هي الغايات التي تلحق

هذا التستر والاضمار، بعد أن كان التجلي والوضوح سمة التداولية في دراستها للغة في حينها الاستعمالي التواصلي، لتكون أهم محطة للوصول إلى إجابات عن هذه المساءلات، هو التركيز على الجانب الوظيفي للغة، وكان هذا " أهم ما توصل إليه فينجتاين، من أن وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، ولكن للغة وظائف عديدة...وليس اللغة عنده حسابا منطقياً دقيقاً لكل كلمة فيها معنى محدد، ولكل جملة معنى ثابت بحيث لا تنتقل من جملة إلا إلى ما يلزم عنها من جمل مراعيها قواعد الاستدلال المنطقي بل الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية، وتعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها"⁴

التداولية الحديثة وجماليات المعنى:

لا جرم إذا أن الوقوف عند قضية المعنى في الحقل التداولي قد صارت أمراً ذا بال، إذ ينخرط المتلقي المفسر في بعدين " بعد المعرفة المكتسبة والعلم الخاص بالدلالات، لأن المعنى لا يمكن أن يكون تاماً من غير هذا العلم الذي يفتح في اللغة أبعادها الثقافية والاجتماعية ويمكن ظلها التاريخي من حشد مقاصدها اللغوية أثناء عملية التكلم "⁵ ذلك أن المعرفة الأولى هي نوع من القابلية والإمكانية التي تسمح للمخاطب من مقارنة وإدراك الكامن من الدلالات في اللغة، وأما العلم الخاص فهي مرحلة توطّد من حضور المعرفة المكتسبة، بيد أن هذه ليست سوى مقاربات تمثي على استحياء لفهم خواص المعنى التداولي " فالمعنى الذي نريد محاصرته في نطاق التداولية والذي نروم الاستفادة منه في حقل تحليل الخطاب، يفرض علينا التوقف قليلاً للتساؤل عن حقيقة المعنى ذاته ما هو؟ وكيف نميّزه عن غيره؟ وكيف نقبض عليه في الكلام؟.

يضيف دانيال كلود بيلونجييه قائلاً: فإذا تساءلنا عن طبيعة المعنى كان لنا منه أولاً أنه ناتج الفهم، ومن ثمّ فهو إدراك وهو بذلك موضوع سيكولوجي، ولا يتسنى لنا فهم هذا الطرح إن لم ننظر في الإدراك على أنه مخامرة الكلام للذات واختلاطه بمكوناتها الخاصة، وكأن الكلام يدخل إلى مخبر الذات ليخالط فيها عناصرها النفسية من مزاج واقتدار وثقافة وعواطف اتجاه الباث وردود أفعال اتجاه القصد"⁶ وهنا تتضح جلياً قيمة البعد النفسي لإدراك المعنى في إطاره التداولي، هذا الإطار الذي نلفيه يتعامل مع اللغة وما تحمله من معان ليس كمجرد عملية كيميائية يختمر الكلام فيها بالذات، وما تحويه من خواص تخالطها عناصر النفس فحسب، بل إنه يسهم في "فهم الإنسان لذاته ولعالمه"⁷ والواقع أننا أمام " حقيقة أخرى تغاضت عنها اللسانيات التقليدية، حين أوقفت اهتمامها عند حدود اللغة وحدها، لأننا ونحن نقرأ نصاً نتجاوز الحاجز اللغوي لنطلّ على المشهد الذي تحمله اللغة، فاللغة تتراجع إلى الخلف فاسحة المجال أمام المشهد الذي يعرضه الكلام، ولا يزعم قارئ أنه يتابع اللغة وحدها وأن اللغة هي

التي تعرض عليه المعنى، بل ينبثق المعنى ويرتفع ليحجب اللغة. ذلك هو قول المنظر حين يقول أنه ليس ضرورياً أن نعين الحامل للإمساك بالمعنى، لأن ما يقفز إلى الذهن هو المحمول أولاً⁸ هذه هي المغالطة التي أوقعنا فيها اللسانيات وتحديداً البنوية، تلك التي رأت حذر تجاوز البنوية اللغوية باعتبارها مفتاح الولوج إلى أي ظاهرة لغوية وفكّ شفراتها، متناسية خاصية مهمة في اللغة، وهي تلك التي تتراجع فيها فاسحة المجال للمشهد الذي يعرضه الكلام، فينقل الملابس الزمانية والمكانية وما يخالطها من عناصر نفسية وثقافية وغيرها من الروافد "ومنه تكون عبقرية المتحدث الذي يعرف كيف يجعل اللغة تتراجع بهدوء أمام الأحداث، تاركة للمخيلة المتلقية فسحة التقاط الظلال التي تؤثث المشهد بالمعاني والأحاسيس والمشاعر، بل لا يقوم القص ولا الشعور ولا التحديث إلا على هذه العبقرية التي تعرف كيف تتجاوز اللغة إلى محمول اللغة... كيف تتجاوز زمن الحكي إلى زمن الحدث..."⁹.

ويضيف الدكتور حبيب مونسى في السياق ذاته "بيد أن هناك حقيقة أخرى لا بد لدارس الخطاب أن يفقهها جيداً، إن المتكلم يسعى عبر كلامه إلى الإفصاح عن فكرة يعانها فيختار لها من الكلام ما يراه لبوساً وافياً يؤدي حقها، والفكرة في النفس غير الفكرة في الكلام، قد تتخونها اللغة فلا تؤديها على الوجه الحسن وقد تصرفها عن قصدها بسبب التشويش الحاصل من الثثرة والحشو، ذلك هو قصد المنظر حين يشير إلى المعنى المقصود"¹⁰ وعلى هذا يصبح المعنى في ظلال البحث التداولي نقطة تقاطع في الخيوط والحدود، ونطفة أمشاج متقاسمة بين المعنى الملتقط والمعنى الكلي، أو بين الدلالة القصدية وغير القصدية، أو هو صورة حية لتمازج الشكل والمضمون ضمن وعاء وقالب واحد، دون أن تظهر بينهما أي من مظاهر الشرخ، بل أكثر من ذلك لقد صار المضمون في ذاته غير قابل للفهم إلا في حضرة الشكل، طبقاً للتصورات الجديدة التي تبنتها مقولات العتبات حتى صارت "العلامة تندرج وفق بعد يمكننا أن نطلق عليه بعد الأعماق..."¹¹

التداولية والتخييل بين الإجرائية والغاية:

إن الحديث عن التداولية باعتبارها حيزاً تواصلياً يتمّ مقارنته ومقاربتة في ضوء وضعيات استعمالية للغة، من حقّه أن يضعنا أمام تساؤل مهم، هو ما قيمة الإجراء أو البعد التخيلي الفني في رسم مسار وقواعد هذا الحيز؟ وما هو دور ومكانة الأنماط الوظيفية للغة وتحديداً منها الوظيفة الشعرية في خلخلة الوثوقي المعياري في أضرب الاستعمال اللغوي؟ ولمحاولة الإجابة عن هذه الإشكاليات علينا أن نسقط ونستحضر مفهوم التخييل وآلياته، كي يتسنى لنا رصد نتائج هذا التعالق بين المنطلقات الفلسفية القارة والأبعاد الجمالية المتحولة" فإذا كان سيرل قد أقصى أفعال التخييل من دائرة أفعال الكلام، بوصفها أفعال غير نزيهة لا

تسجيب لشروط اقتران القول بالفعل، فإن جيران جينات وهو الذي اقترن اسمه بالإجراءات الآلية لقراءة النصوص السردية، لم يستسغ ذلك الإقصاء، أو أنه لم يقتنع بالدلائل التي قدمها سيرل للتدليل على صحة ادّعائه، فوجه جينات اهتمامه حين عزم الرد على سيرل إلى الخطاب السردى دون غيره من الخطابات بوصفها خطابا يتميز بخصوصية تخيلية¹² من هنا تظهر لنا قيمة ومدى حضور البعد التخيلي في الدرس التداولي، وفق ما أفرزته نظرية أفعال الكلام خصوصا في الخطاب السردى، الذي اتخذ جينات مطية ووثيقة يثبت من خلالها حضور هذا المبحث في الإطار التواصلى واللغوى بشكل عام، مهما كانت وتنوعت أجناسه وطرائق التواصل فيه، خاصة ونحن نعلم قيمة وفاعلية الجانب التأثيرى لرصد أنماط كل مسلك من مسالك التواصل فيه، ذلك أنه "إذا كانت قاعدة المراوغة قائمة على أننا حين نراوغ بفعل شيء ما فإننا نراوغ بفعل شيء آخر، فذلك يقتضى أن المراوغة بفعل إخبارات يقود بالضرورة إلى إنجاز فعل آخر هو إنتاج فعل تخيلى"¹³.

إن حدوث أي مظهر من مظاهر العدول والانزياح في المقاصد، سواء كانت تلك التي يرومها المرسل أو النص أو المستقبل، هو في الواقع لعبة من الألعاب ومراوغات قائمة على التستر والخفاء، فلذلك مثلا نجد النص في لغة النقد يخفي أكثر مما يظهر ويضمّر أكثر مما يصرّح، وهي كلها ألعيب مفتعلة فيها من المراوغة والمخاتلة الشيء الكثير، وذلك باعتبارها دروبا جمالية تحافظ على أدبية النص وتحقق وظيفته الشعرية، إذ ليست المسألة مجرد حديث أجوف عن مسارات معيارية خواء، بل هي استراتيجية من الألعيب التي تكسب النص حضوره وفضاءه الجمالي والفني معا، إذ على ضوء هذه المسائل يحيا الأثر وينفتح النص واللغة على اللامتناهي والأسطوري، " ليتخذ الملفوظ التخيلي شكل دعوة للولوج لعالمه الخاص"¹⁴ هذه الدعوة وهذا العالم الذي سرعان ما سيغيّر وإلى حدّ كبير الملامح الأولى التي عرفتها التداولية، لاسيما منها تلك الملامح التي لم تعرف كيف تتحرر من سطوة اللغة العادية وأرق الوضعي من الاستعمال اللغوي، ومن برائن الوصف الهش والمخل بالذات والعالم معا، ليكون مدار هذا التعديل والتحول في هذا الدرس قائما في الأساس على أبعاد إجرائية فلسفية عميقة، أهمها الخلخلة والنسبية في الكثير من أبوابه ومباحثه، ليكون بذلك من جماليات حيز الاستعمال والتواصل هورصد محطات ومواطن الإخفاق والعبثية في النص أو الرسالة التي لا يقوى المتلقي على فك شفرتها، وهذا أمر بعيد عن السلبية في التعاطي والتعامل مع النصوص كل البعد، بل على العكس تماما، قد يكون هذا من أسباب اللذة والمتعة حين يستبدل البحث عن المعلوم بالبحث عن المجهول، فلا يتسنى حتى للمرسل من فهم لغته التي يصير أجنبيا عنها كما جاء في

تصورات رولان بارت، لتكون أفكار جيرار جينات هنا كما من الأفكار التي " لا تستدعي غير الاعتقاد بقدرة اللغة على أن تقول أشياء غير التي تتمظهر من خلال النطق"¹⁵.

لقد بات الدرس التداولي يعلم الآن أنه لا مناص من التواشج والمعطى التخيلي الفني، ولنقل لزوم الأخذ بالاعتبار كل ما فيه خروج عن المؤلف في اللغة والاستعمال، وذلك من أجل فتح أبواب جديدة في التداولية كي لا تنتهي آفاقها عند حدود اللسانيات البنوية، "فلقد شدّ النص الأدبي وتحديدا الخيالي اهتمام أوستين الذي وسمه بكونه ملفوظا غير جاد... فمن الواضح أن اللغة في مثل هذه الوضعيات لا تستعمل بشكل جدّي، ولكن يتعلق الأمر باستعمال طفيلي مقارنة بالاستعمال العادي"¹⁶ هذا هو ما بدأت التداولية الآن تدركه وترصده، فأفكار أوستين هنا تريد أن تقول أنه ليس في اللغة ما هو من قبيل العادي الاعتباطي في الاستعمال، بل إن للغة وجها آخر أجمل وأوسع، إنه الشقّ غير الجدّي فيها، إذ ليس كل استعمال يجب أن يخضع لضريبة وقانون الاستعمال المؤلف المباشر والقصدي، بل هناك جانب آخر وهو الاستعمال الطفيلي.

هذا الملفوظ غير الجدّي وهذا الاستعمال الطفيلي الذي باتت التداولية تسعى لفهمه وتحديد قوانينه ونظمه وفكّ شفراته، باعتبار كل هذا بعدا فنيا وجماليا، إذ ليس بالضرورة أن يكون وراء كل رسالة قصد محدد، ووراء كل مؤلف جدية فيما يبثّه ويخبر به، ومن خلف كل قارئ رغبة في قراءة تحاول أن تفهم أو تسعى لكشف الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة بل على العكس، فقد انقلبت الرؤى وتعددت وضعيات الفهم وطرائق التعامل مع صنوف الاستعمال اللغوي، التي هي جوهر ومدار البحث التداولي، إننا والحالة هذه أقرب ما نكون إلى الأدب الكرنفالي، حيث تختل النظم وتنعكس التوجهات وتهتز القوانين وتتخلخل القواعد والدعائم، ليحل اللانظام محل النظام والانشطار محل التوحد، والتباين محل الاتفاق "حيث الاحتفاء بتعدد الأصوات وانطلاقها، الذي لا يجعل لصوت سلطانا على غيره من الأصوات، كأننا إزاء (مولد) ينقلب فيه الترتاب الهرمي للعلاقات والطبقات والأعراف"¹⁷ فدلالة الملفوظ التخيلي الفني، لا تقع شرطا ضمن حيز الاستعمال القصدي أو المباشر أو العادي من اللغة، بل قد يكون موطنها في الجانب غير القصدي غير المباشر ومثله معه الضمني المضمّر، أو بما يطلق عليه بتجاوز الملفوظ لدلالته الحرفية، ليكون هذا التباين الذي يخلقه العالم التخيلي الذي بات ينعم به الملفوظ المتجاوز للمقصود المباشر، هو سبب تعدد المعنى وتباين مسالكه، هذا التنوع الذي بات يقتات من منابع تأويلية عدّة تختلط وتتعالق فيما بينها، لتجعل من دلالة التضمين لغة مضاعفة فضاء وكثافة وسمكا.

كل هذا بفعل طاقات التشبيه والاستعارة وغيرها من المباحث البلاغية، وعليه " فإذا غاب هذا الضمني امتنع التواصل، بما أنه يجب إظهار كل شيء دائما، وإذًاك يصبح أقلّ خطاب عبارة عن لولب لا ينتهي يكشف ذاته ويكشف كشفه الذاتي..."¹⁸ لقد أضحت الآن مباحث التضمنين وتجاوز الحرفي من القول والمراوغة والطفيلي من الاستعمال، وغير الجدي من القصد من المباحث الهامة التي باتت الدرس التداولي يعوّل ويبرهن عليها لفكّ الكثير من شفرات اللغة في نطاقها التواصلية، " فالتداولية تواجه الضمني في مرحلة أولى من منظور كلاسيكي للمنطق الدلالي، ثم هي تثرية بمنطق المقصدية الذي كشف عنه أوستن وسورل تدريجيا، بل إن كل مقارنة تداولية تحتوي على هذه الإشكالية الجديدة، لأن المقصد يقع في صميم شروط النجاح، وكذا في صميم القوة المتضمنة في القول، وحتى في مفهوم العمل ذاته، وفي النظرية التداولية للدلالة"¹⁹.

إن ما يقدمه الخطاب التخيلي كثيرا ما وسم بغير الجاد، فهو " تمثيل دون الحرفي لفكرة معقدة لمؤلف الخطاب تمثّل وصفا للكون (كما هو كائن أو كما ينبغي أن يكون) فعلى غرار الاستعارة يمكننا التخيل من استخلاص نتائج صادقة انطلاقا من أقوال الخطاب، ومن قضايا السياقات المتتابعة التي يقوم عليها تأويل هذه الأقوال"²⁰ فإذا باتت اللغة الآن تعيش إشكالية الوظيفة، وإذا كان مصير الفكرة مرهونا باللغة، وإذا كانت الكلمات علامات، ودلالة الكلمة هي رسائل، وإذا كانت اللغة أعقد وأكبر من كونها مجرد شفرات يقبل عليها التأويل ليكون تمثيلا حيا لتوظيف نظام ترميزي لفكّ شفرات الكلمة، فإن التغيير الجدّي في اللغة والمتخيل في الاستعمال، سيساهم هذا كله في تعطيل الفاعلية المباشرة للتواصل من جهة، فلا تكون مجرد مرحلة أولية سرعان ما تتلاشى وتختفي، ومن جهة أخرى ستكشف جماليات الوظيفة الشعرية، حيث البناء والهدم وكسر المألوف، وحيث التوقع والتعديل، في هذه الحالة يمكن للغة أن تكشف عن المسكوت عنه من الاستعمال اللغوي، معيدة بناء الرسالة جاعلة الكائن وسيلة والممكن غاية، " إن الذين يقولون بأن اللغة تستخدم لإخفاء الأفكار أن مرادهم من الأفكار هو الحقائق التي يعتقد المرء بصحتها الواقعية وسلامتها المنطقية، ولكنه يستخدم اللغة على نحو يوهم المخاطب بعكس ما يعتقد، ولذا قالوا إن اللغة تخفي هذه الأفكار أي المعتقد لا المنقولة، وفي هذه الحال يمكن التوفيق بين هاتين الوظيفتين، باعتبار أن نقل الأفكار قد يترتب عليه إخفاء أفكار أخرى هي المناقضة للأفكار المنقولة، فتكون اللغة هي الناقلة للأفكار المراد إظهارها، ويكون الإخفاء مترتبا على ذلك النقل"²¹.

وهنا تتجلى حتمية التجاوز الذي بات مسلكا لا مناص منه في الدرس التداولي، حتمية تقرّ بالتعدد والتنوع والاختلاف في الدرس اللغوي بشكل عام، إذ لا يجدر بالمنشغل بالدرس

اللغوي أن يضيّق مجال اللغة والبحث في طياتها ليحصّرها في مجال نقل الأفكار ووصف الوقائع وصفا باهتا فجًا، فاللغة تتعامل مع ضربين من الأفكار المنقولة التي سرعان ما تتراجع مفسحة المجال للأفكار المعتقدة، هذه الأخيرة التي أضحت تمثل حقلا خصبا وهاما في علم التداولية، لأن اللغة فيها تختفي وتوهم، فيكون الإخفاء بهذا تتوججا لعملية النقل، فتجد المتكلم يوهم المخاطب بعكس ما يعتقد، بل وقد تلعب اللغة نفسها مجسّدة في النص بهذا الدور، لتقوم بدور الوسيط الذي يتوسط الحلقة، فتمارس عنفها على المتكلم والمخاطب معا، كما قرّرتة مرحلة الحداثة وتحديدا النقد النسقي البنوي.

بين التداولية والشعرية - رهانات التخطي:

تقوم التداولية على دراسة جميع التقنيات التي تتزامن والحدث التواصلي وترافقه، سواء أكان ذلك عند المتكلم أم الرسالة أو المخاطب، وسواء تعلق ذلك بالمقاصد المباشرة أو اللغة الطبيعية العادية أو غيرها من مباحث الدرس التداولي، إلا أن مخالطة التحولات الفكرية الحديثة جعل التداولية تخرج من هذه القوقعة، لاسيما بفعل الروافد الجديدة، وبخاصة منها تلك التي تمدّ إلى الوظيفة الشعرية أو ما اصطلح عليه باسم الأدبية، التي تهتم " بكل ما هو مبتدع مبتكر خلاّق inventif"²² ليكون الآن مسعى التداولية هو طرق أبواب هذا المبتكر الخلاق في صميم البحث اللغوي والتواصلي منه تحديدا، ذلك أن هذا المبتدع هو الذي ترد إليه الكثير مما له صلة بالضماني وغير المباشر من المقاصد، لاسيما في مجال المنقول المعتقد من الظاهرة اللغوية.

إن التداولية وهي تتداخل والشعرية كمفهوم ووظيفة، تسعى للبحث والتنقيب والكشف عن سمات هذا الخلق أين هي مواطنه؟ وما هي مبرراته؟ وأبعاده ونتائجه؟ وماهي العوامل التي تجعل من أي أثر شيئا فنيا يسمح بخلخلة الثابت الوثوقي من قوانين التواصل اللغوي؟ ومردّ الأمر كله إلى خصوصية اللغة، هذا العالم الزبقي المتملّص الشرود، هذه الخصوصية التي يزيد المعنى من تعقيدها وجمالياتها في آن واحد، فلا ندري إن كانت اللغة لا تتعدى كونها حاملا أو عالما قائما بذاته، إن ما يجري بين المتكلم والمخاطب هو "توسل باللغة لأداء ما هو كامن في المجردات، مما يتّصل ببؤرة الحس في مكمن الإبداع"²³ هذا التوسل المرتبط بالحس، من حقّه أن يضاعف مظاهر الوظيفة الشعرية ويجعل منها مساحة واسعة للبحث والتحرّي عن مواطن الخلق والابتكار في حلقة التواصل، إذ للنفس والشعور فاعليتهما الكبرى في إخفاء المعنى وتضمينه بل وصره، الأمر الذي يستدعي حضور الرمز بقوة ليصبح همّ البحث التداولي في هذا المقام ليس مجرد حضور بدائي لا يتعدى المائل المادي من الموجودات، بل هو رحلة وسفر نحو أعماق لجية، قصد كشف لخواص أكثر جدّة وعطاء لتفسير الظاهرة التواصلية، فالكلمات لا

تصنع هذا الحوار وتجسد الوجه الاستعمالي للغة فهي، "لا تمثل الأشياء فحسب، ولكنها تنوب عنها وتشكل ركنا هاما من النقاش الفلسفي المتعلق بفلسفة اللغة في علاقتها بالوجود والمجتمع والإنسان"²⁴.

ويضيف الدكتور حسين خمري في السياق ذاته "أن اللفظة (بالمفهوم اللساني) لا يمكن اعتبارها علامة فارقة، لأنها تضمّ عبر مسارها الإمكانيات المختلفة للتعبير، أي أن اللفظة يمكن اعتبارها خزانا من الدلالات الممكنة التي تحتوي على أنظمة تعبيرية مختلفة"²⁵ هذا الاعتبار الخاطئ الذي لطالما جعل الدرس التداولي لا يكاد يخرج من ضيق الرؤية التي كانت تحيط بمباحثه، أو تسمح له بأن ينفذ عن نفسه برائن الثابت المتحجّر من الأفكار والتصورات، فاللفظة ليست مجرد عالم أصمّ خواء، بل هي خزان وركام لا يجف معينه ولا يخبو وجهه، فهو مشبّع بطاقات التحول وخاضع لمنطق الممكن لا الكائن، فمسالك الانظمة التعبيرية متعددة ومتشظية، فالنص الذي يبثّه الباث على المخاطب لا ينشئ المعاني فحسب، ولكنه يولد أيضا الكلمات وتركيب العلامات اللغوية بطريقة جيدة، لتصير وسيلة مثلى لاستثمار الإمكانيات المختلفة لإنتاج النصوص، كما أنه يعمل على تشغيل آليات النظام اللغوي ووظائفه المتعددة"²⁶.

إنه ما تبحث عنه التداولية، وهو نفسه ما تقدمه الشعرية من تدليل ورسم لخريطة هذا البحث، من كشف وإيجاد لمواطن وبؤر التحول والجمال في عالم التواصل والاستعمال اللذين هما محل اشتغال الدرس التداولي، "فالنص من خلال استعماله للغة يبرز طاقاتها التعبيرية ويشغّل علاماتها ورموزها، وبالتالي ينقلها من الاستعمال الوظيفي إلى التعبير الجمالي، ومن هذا المنظور يوظف النص الأشكال البلاغية والصيغ النحوية التي لم تستعمل من قبل، وفي أسوأ الحالات فإنه يعمل على تعديلها وإعادة تشكيلها، وبهذا فإنه يكشف عن استعماله المخصوص للنظام اللغوي، وينتج أنساقا لغوية جديدة، كما يعمل على خلق منطوق جديد بين الألفاظ، وهذا المنطق يأتي من الاستعمال الجديد للألفاظ من خلال سياقات مختلفة للتعبير عن المواقف التي لم يعبر عنها من قبل"²⁷ لقد بدأ أعلام التداولية يدركون هذه التوجهات الجديدة من الاستعمال اللغوي، فبات الحديث الآن منصبا على قدرات اللغة وما يمكن أن توجده وتنجزه من إمكانيات تعبيرية عدّة، ليأخذ الحديث الآن عن اللغة مسارا أكثر جدّة وعمق، فيصبح علامة ورمزا يصير الحديث عن منطوق الاستعمال والبعد الجمالي يمشيان جنبا إلى جنب، وليصبح الحديث يتشكل ويدور من جهة أخرى على مسائل التعديل وإعادة التشكيل، الأمر الذي يتيح إنتاج أنساق لغوية جديدة ومنطوق لغوي حديث بين الألفاظ، هذا الأخير الذي سببه التعديلات والتشكيلات الجديدة للحوارية التي بدأت تنشأ وتظهر بين الكلمات، وذلك

بفعل السياقات المتعددة والمواقف المتباينة بين الباحث والمستقبل، وهذا ما تبناه رولان بارت إذ "حسب نظرية النص، فإن اللغة يعاد توزيعها وعادة التوزيع هذه تهدف إلى توليد جديد، تحتوي الكلمات التي تتطّلها مقتضيات التعبير ومقاماته، وما ينجرّ عن ذلك من إنشاء لعلاقات جديدة بين الألفاظ وشحنها دلاليًا"²⁸ إن العملية هنا هي أقرب ما تكون لثقافة البناء والهدم، أو ثنائية التركيب والتفكيك، إذ باتت التداولية الآن لا تنظر إلى اللغة أو أي استعمال لغوي على أنه مجرد بناء لعلاقات وصياغة جديدة لتشكيلاتها، بقدر ما هو في الآن ذاته تفكيك وهدم للعلاقات الأولى وإقامة أخرى جديد محلها بفعل عملية التفكيك هذه، حيث الارتحال من " السكونية المعيارية إلى الاستعمالية الحركية"²⁹ لقد صار التعدد والاختلاف منطق ومسار واستراتيجية التداوليين الجدد، سواء تعلق هذا الهدف بمستوى الألفاظ أو حتى المعاني التي باتت هي الأخرى تخضع لهذه التصورات الجديدة، هذه الفلسفة التي من حقها أن تخرج الدرس التداولي من الثابت إلى المتحول، سواء أكان ذلك في الأليات الإجرائية أم في الأبعاد الجمالية. إن العلاقة بين الباحث والرسالة والمستقبل، قد أضحت الآن فضاء للبناء والتفكيك وبخاصة فيما يُرام في البحث عن لغة ثانية أو حوارية جديدة، هي حوارية التضمين وما يتبعها من خواص خفية لظاهرة التواصل والاستعمال، وفي هذا كله تجاوز للثقافة القديمة حيث اللاوعي والاعتباطية في الطرح والابتدالية في المعالجة والتفسير.

إن قيمة هذه التصورات تظهر في نقاط عدّة يطول بسطها، ولكن يبقى أهمها على الإطلاق فرصة وإمكانية إعطاء اللغة في منطقتها الاستعمالي الذي هو مناط الاشتغال التداولي، صفة الانفتاح السرمدي الذي لا يخبو ولا يفتر، هذا الانفتاح الذي لا يكمنه الزمان أو المكان ولا يأسره طوق التحجر، "إن الشعرية عموما هي محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب بوصفه فنا لفظيا، إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجها وجهة أدبية، إذن تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي...ولكن المهم هو ماهية هذه القوانين والكيفيات المتبعة في استنباطها..."³⁰ وهنا تتجلى نقطة التقاطع الحقيقية بين التداولية والشعرية، وذلك من خلال رغبة كل منهما في استنباط القوانين التي من حقها أن توجه الخطاب اللغوي التواصلية الوجهة الأدبية، فتخرجه من نطاق التواصل إلى آفاق جمالية رحبة، حيث المتعة والوهم، مع مراعاة معادلة الماهية والكيفية، باعتبارها معادلة تخطّ مسار البحث وتشخصه، ومثلما أن التداولية بدأت الآن تتجه نحو اللغة غير المباشرة أو اللغة الثانية، أو البحث عن آليات وطرائق وأهداف لغة التخفي في التواصل اللغوي، فإن الشعرية هي الأخرى كذلك "فالشعرية مقارنة للأدب مجردة وباطنية في الآن نفسه"³¹ الأمر الذي جعل التداولية جراء هذا التلاقح، تبحث عن عناصر الوحدة والتنوع والربط، ناهيك عن مواطن الاهتزاز في

الظاهرة اللغوية وبخاصة في مجالها التواصلي، وإذا كانت التداولية هي دراسة اللغة من وجهة نظروظيفية، فإن هذا لتعريف هو الذي سيسمح للدرس اللغوي أن ينتقل من عالم البحث في النص إلى عوالم الفضاء التي يجسدها هذا النص، الأمر الذي سيمكن التداولية من أن لا تبحث في اللغة الأولى أو اللغة الأم، بل سيتجاوزها للبحث في المتعالي من اللغة، أي المتخفي الغائب أو المتناص من اللغة، ومن نقاط التداخل الأخرى بين التداولية والشعرية، هو أن كلا منهما يؤمن بالشفرة الكامنة والمتواجدة في بنية اللغة، باعتبارها المساهم والعامل الأول في جعل اللغة تنحرف من إطارها العادي الطبيعي إلى ذلك الإيحائي الجمالي المولد لعدد لا نهائي من الرموز والدلالات والآثار، كما تهتم التداولية من هذا المنطلق بالمتلقي المفسر باعتباره الطرف الذي يقع عليه فكّ هذه الرموز وتكملة فعل القراءة الذي لا يتم إلا به، وبما أن اللغة تحمل من المعاني والرموز الكامنة الشيء الكثير، فإن الشعرية تصبح الآن الطرف الثاني الذي تلقى عليه مهمة الكشف والفك والتفسير واستنباط الخصائص المجردة في الخطاب، كل هذا لمعرفة قيمة العمل جماليا.

لا تبتعد الشعرية كثيرا عن منطق الخرق أو ما يطلق عليه باسم شعرية الانزياح، هذا التصور الذي دفع التداولية للاعتقاد بأن للغة دهاليز ومسارات وصدوعا ومسلمات تجعلها تتجاوز المرئي باحثة عن اللامرئي، حيث التماهي والتلاشي والدوبان مثلما هو الحال في التفرقة بين لغة النثر ولغة الشعر، لتكون وجه الخرق والتجاوز عن الأولى، حيث التأويل متجدد وشبكة العلاقات خاضعة لمنطق المتحول المتغير في النصوص، إذ ليس النص " بشكل عام وحدة ينظم فيها التواصل اللغوي فحسب، بل إنه يعدّ بناء على ذلك تحقيقا لفعل اجتماعي ذي التزام، تثبت شرعيته شروط اجتماعية مميزة..."³² لذا يعدّ المعطى التواصلي ركنا ركينا في التكوين الداخلي للغة وبنيتها، وبخاصة إذا نظرنا إليه من وجهة نظر الترابطات والتداخلات، أو ما اصطلح عليه بالمتعاليات" إذ لا تنفصل اللغة عن الإدراك الجماعي وتفاعله مع عناصر المحيط والمخزون الثقافي والرمزي، إنها لا تنفصل عن الخبرات الجماعية والنفسية والاجتماعية والجمالية للناطقين بها، وعليه يلزم استحضار الدلالات الحافة أو الثانوية أو الرمزية المرتبطة بالكلمة، وهي نتاج الأعراف الاجتماعية أو السياق المباشر..."³³ ومن الجوانب ذات الصلة بالوظيفة الشعرية، تلك التي أثارت الدرس التداولي فاستقى منها وغرف، وهو أن الكلمة في الاستعمال أو في اللغة بشكل عام " لم تعد مقبولة أو مرغوبة لمجرد أنها مؤلفة من حروف أو أصوات متوازنة في قرب أو بعد المخارج، وإنما أصبح هذا الجانب الآلي جزءا من أسباب الجمال وليس كل هذه الأسباب، إن تاريخ الكلمة وما حملته من معاني عبر مراحل استعمالها وارتباطها بمواقف وحالات نفسية وموقعها بين جاراتها من الكلمات الأخرى، كل ذلك أصبح يحدد درجة

الجمال في الكلمة"³⁴ وأمام هذه التصورات والحيثيات نلفي أنفسنا أمام منعرج جديد لروح هذا التمازج، وبخاصة فيما يتعلق بالأبعاد الجمالية والفنية الحديثة للتداولية، وذلك في خروجها من ضيق الثابت إلى رحابة المتحول، فتعددت بذلك مجالات البحث والكشف وتنوعت مشارب التقنية والآلية، وتضاعف سمك وعمق الأهداف الإجرائية وتعزز حضور منطق المسألة وروح الإشكالية، الأمر الذي بدأ يتوجه في الأخير نحو ميلاد مشروع ميتالغوي لا ينتهي ولا يتوقف مداه، ذلك أن التصور العلائقي للكلمة والنظر إليها ضمن نسيج أو شبكة واسعة ومتداخلة، من حقّه أن يسمح للدلالة بأن ترتحل من الطبيعة المجردة لتسافر وتعلق بالطبيعة الحسّية المجسّدة، حيث المرئي المشخّص صورة حيّة وشفافة اللامرئي الموحى، ما يؤكد من ناحية على أهمية السطح أو الشكل، ومن ناحية أخرى على مدى اتصالهما وانصهارهما ضمن وعاء واحد خلّاق لحالات شعورية وعاطفية، وهذه أيضا إحدى خصائص وجماليات اللغة الفنية أو الأدبية" تلك اللغة التي تتأزر كل طاقاتها الصوتية والتركيبية والمعنوية والموسيقية، لتصبح حالة شعورية محددة"³⁵ هذه الطاقات التي أضحت الشغل الشاغل للدرس التداولي في طبعته الجديدة، وما يزيد من حضور هذه الوشيجة والرابطة بين التداولية والشعرية، هو أن هذه الأخيرة قد أضحت الآن قيمتها لا تتجسد في ذلك النسيج الرابط بين الكلمات وفي تجاورها مع بعضها البعض، وفي الجرس الموسيقي الذي يتكاتف مع الطاقة التعبيرية والمعنوية لخلق حالات شعورية معينة فحسب، بل استطاع هذا التناص أن يؤسس لمشروع أكبر وأن يرسم ويخطّ أبعادا جمالية وبحثية أعمق" إن مصدر اللغة الشعرية لا ينبغي البحث عنه في اختيار الكلمات، وفي طريقة ضمّ بعضها إلى بعض لأجل تكوين جمل وعبارات، ولا في الجرس والإيقاع والقافية، ولكن في طريقة التمثيل"³⁶ هذا الاتجاه والمسلك الذي تمنحه الشعرية لمفهوم التداولية، والذي من حقّه أن يعبر بالدراسات اللغوية وما يتبعها من خواص وأهداف تواصلية للكشف الآن عن تقنيات التمثيل وأغراضه وأثره على السلسلة الكلامية، وأنماط تفسيره لدى المخاطب، وبخاصة وأن فاليري يقول: "لا وجود لمعنى أو فكرة ليست من إنتاج صورة ملحوظة"³⁷ وفي سياق أبعاد هذا التداخل بين القطبين، تجدر الإشارة أيضا إلى أن هذه الوظيفة "تظهر بمجرد أن يكون للدال أهمية معادلة لأهمية المدلول، أو بمجرد أن يكون للدال أهمية أكبر من أهمية المدلول، مثل الجنس وهو أحد الأوجه البلاغية... التي تجعل المرسل إحياء وتضمينا أكثر مما يكون تسمية، حيث للموسيقى أو لصور الجملة دورا أكبر"³⁸ نقف الآن أمام صورة جديدة من صور التقارب بين الرؤية التداولية ومفهوم الشعرية، وذلك من خلال معيار الدال والمدلول وأسبقية أحدهما على الآخر في مجال التواصل اللغوي، وما ينجم عنه من تأثيرات وانحرافات، ومادام الحديث الآن عن الوظيفة الشعرية يتجاوز تلك المطارحات

الهشّة "كسؤال صحيح/ خطأ ولا بالسؤال صادق/ كاذب ولا بالسؤال جميل أو قبيح"³⁹ فإذا كان الأمر قد تعدى هذه الإشكاليات، التي صارت الآن لا تسمن ولا تغني من جوع، فإنّ الدرس التداولي والحالة هذه سيكون قد أدرك حقيقة المتخفي المتضمن من الاستعمال، وحقيقة اللغة العادية الطبيعية والمباشرة التي صارت الآن تتجاوز في بحثها وتفسيرها أديم السماء، ليصبح كل هذا كومة وركاما من التقنيات العقيم، التي لا تقدّم شيئا للتحويلات والمستجدات التي باتت اللغة تعايشها وتزامنها.

التداولية الحديثة وممكنات اللغة:

لقد صارت اللغة في ظل التحويلات الجديدة التي بدأ يشهدها الدرس التداولي، فعلا خلافاً "إذ لم تعد وسيلة نقل وتفاهم فحسب، بل غدت (وسيلة استبطان وكشف) تثير المتلقي وتهزّه من الأعماق وتغمره بإيحاءاتها وإيقاعاتها"⁴⁰ ومن هنا صار هذا الفعل الخلاق طفرة مهمة ومساهمة في عالم الإبداع، الأمر الذي ارتقى باللغة لأنّ تخرج من قوقعة الوظائف البدائية، أو النظرة السطحية التي لا تتعدى فيها اللغة أو أنماط التواصل مجرد وسيلة نقل أو قناة تفاهم مفرّغة، لتطلّ على عالم آخر جديد، يجد فيه الإبداع والخلق ضالته حيث الحفر في الأعماق لكشف المغيب واستحضاره، ولا شكّ في أن يكون لهذا الأثر البالغ في المخاطب، فيحصل بذلك الاستدراج والانغماس في عالم اللغة حيث الخيال والرمز وحيث المتعة الأسطورية " فلمفردات اللغة صفات عجيبة ومزايا غريبة، يأتي في مقدمتها الإقرار أن لكل كلمة معنى أو روحا أو رنة وصبغة وألوانا"⁴¹ لقد أضحى الدرس التداولي الآن يدرك حقيقة البعد الافتراضي vértuéل في أي تواصل لغوي، هذا البعد الذي يؤكد على الطبيعة الباطنية للغة، وعلى قوة حضور منطق التحيين فيها، الأمر الذي يحيلنا إلى القول بأن النص الأدبي كنموذج تواصل يهاجم " ليس من طبيعة اللغة فيه أن تكون لغة التعليق، فهي لغة رمزية متعددة وأكثر تحررا ومرونة ومن حاجة القارئ إلى الفهم (وحقه المشروع أيضا) فإنه يقوم بترجمة حقيقية، فهو يحاول أن يجذب النص إلى عالمه وأن يدرجه داخل أيديولوجيته، ولكن بدون أي نجاح، فالنص يوجد دائما هناك، لذلك فإنّ نهاية أي قراءة تكون مصحوبة في معظم الأحيان بشعور من عدم رضى عميق"⁴² هذا المأل الذي يتحقق به فعل الإخفاق la déception الذي يؤكد من جهة على طبقات اللغة من البنية إلى التناص وصولا إلى الانفتاح الدلالي، ومن جهة أخرى على أن من جماليات هذا التواصل هو انعدام النهاية فيه، حيث يصير المعنى في طياته أكثر من منفتح، إنه التأجيل حيث المعنى متعاكس سيّال فتراه يدفعنا قدما وفي كل قراءة، إلى أن نتأمل لا نقول الغائب، بل ذلك المتواري المهندس القابع وراء هذا الغائب، ولنقل يدفعنا للبحث في علة العلة، وذلك بأن نقف على محور الأشياء، ونتدبّر في سرّ الكون، وأن نربط تعقيد النص بتعقيد

العالم، ونربط عناصر ونظم وسيرورة الأول بالثاني، فمن هذا المحور تتوالد وتتناسل الأشياء، إنه ليس ذلك المحور المكاني الذي كان يجسده منطق الانفتاح، هذا المنطق الذي طالما أوهمنا بأننا نمسك بناصية كل شيء.

إن تأجيل المعنى بوابة لإلغاء المسافات بين كل قطب من أقطاب العملية الإبداعية، بدءاً باللغة وما تضمه في جنباتها من عناصر ونظم وعلاقات، كل هذا لا نقول للوقوف على الكائن ومقاربه الممكن، كما هو مشروط في فلسفة التأويل الذي مآله الانفتاح، بل لرصد كل توتر وعشّة واهيار ينتاب المعاني، في رحلة تحول وهروب نحو الأعماق، ولكن ليس تلك الأعماق التي لم نعهد منها سوى الساذج من المعاني، وإنما الأعماق التي هي مندسّة في الأشكال، والتي تقتضي منطقاً لا يؤمن بالمنهج والتخطيط، وبعبارة أخرى عمق لا يركن إلى كل مسبق من الأفكار والآليات، وإنما المجال هو للصدفة والعبثية والخيانة فقط.

يقدم فيتجتاين fidjtain وهو من رواد فلسفة اللغة، قراءة تصبّ في نفس السياق الذي يصبّ فيه الدرس التداولي في شقّه الحدائثي، فهو يرى " أن معنى الكلمة ليس له ثبات أو تحديد، ويتجنّب فيجتين البحث في الجانب المنطقي الصارم من تصور المعنى، بعدما شاهد الطريق المسدود الذي وصل إليه مور moor... فاللغة ليست حساباً منطقياً دقيقاً، لكل كلمة معنى محدد ولكل جملة معنى محدد ولكل الجمل وظيفة واحدة وإنما تتعدد معاني الكلمة بتعدد استخدامها لها... وتتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه... وأن الكلمة مطاطة تتسع وتضيق استخداماتها حسب الظروف والحاجات، وأن اللغة ليست كالرجل الصارم الذي يعرف دائماً ما يريد، ويفعل دائماً طبقاً لقاعدة محددة، وإنما كرجل فضفاض متفائل له مناشط متعددة يتلاعب بما لديه من أدوات دون صرامة أو خطّة محكمة"⁴³ لقد صار التعدد والاستكشاف والاختلاف، منطق الأبعاد التواصلية للدرس التداولي، واجتناب المعايير الصارمة من قوانين ونظم، دأب وديدن البحث التداولي، فليس الصواب هو أن تكون الأهداف محددة وخاضعة لقوانين ثابتة، بل صار للمرونة والاحتمالية حضورهما، هذا الحضور الجديد الذي يجعل اللغة عالماً فضفاضاً له مسالك متعددة، وخطط مفتوحة متجددة، وهكذا يكون المبحث التداولي " قد شكل منعرجاً حاسماً في بلورة مبحث التواصل بشكل حالي، ذلك أن التداولية وعبر بنيتها القاعدية المستندة إلى اللغة كمدخل مفتاحي لأي معرفة ممكنة، كان بمثابة الضامن لاستمرار بناء هيكلتها الداخلية معرفياً ومنهجياً"⁴⁴ لم يكن لهذا المنعطف أثره على هيكله اللغة أو البعد التواصلية برمته منهجياً ومعرفياً، بل قد تعداه في جعل "اللغة مستقلة عن الواقع، ما يؤدي في النهاية إلى فك الارتباط القائم بين المعنى وهذا الواقع"⁴⁵ إلى أن هذه النقطة تحتاج إلى توضيح أعمق، ذلك أن تحقق هذه الاستقلالية لا يعني

عدمها أو كأنها لم تكن، بمعنى أن وجود هذه الصلة بين اللغة والواقع موجودة كمرحلة أولية، أو هي واقعة مبدئية سرعان ما تتلاشى لتصبح اللغة مستقلة عن الواقع، ليعكس هذا الاستقلال مرحلة التحول من الثابت الصارم من جهة، ولتكون هذه الاستقلالية ذلك الفراغ الذي يملؤه التضمين والغياب من جهة أخرى، أو بعبارة أخرى يكون هذا الاستقلال تجسيدا لحضور الشعرية كطرف مكمل لعملية التحول، ولعل هذه الطفرة أو الرؤية الجديدة هي التي جعلت إكو Eco يعتبر العلامة "كيانا واسع الامتداد"⁴⁶ وهذا ما تعمل عليه السيمياء التداولية في "تصورها الشمولي والدينامي للعلامة، إذ تعدها كيانا ثلاثيا تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية، في إطار سيرورة دائمة تسمى السيميوزيس"⁴⁷ وكي يكون كذلك عليه أن يتخلص من المرحلة الأولى، تلك التي تتصل فيها اللغة بالواقع، لتعقها المرحلة الثانية مرحلة التحرر والانعقاد، إذ في ضوء هذه الفلسفة يأخذ البعد التواصلية صور الانحراف والانزياح في المقاصد، والخروج من طوق وعقال الصارم من القوانين والنظم، ومن خرافة المعنى الأصلي⁴⁸.

يسعى الدرس التداولي لأن يؤرخ لقراءة جديدة للغة التواصل، وجعلها تلج ضمن تصورات حديثة، إذ ليس المهم فقط هو تحقيق الغرض التواصلية، بل كيف يمكن جعل اللغة التواصلية لغة باقية حية مؤثرة، لذا فإن الشعرية "تهدف إلى اللغة ذاتها فالأولى. اللغة اليومية التواصلية. تتخذ اللغة مجرد وسيلة، أما الثانية فتتخذها كغاية، وذلك لأن الأدب هو فن اللغة كما عبر فاليري"⁴⁹ وفي ضوء هذا الواقع والرؤية فقط "توفر الكلمة لنفسها قانونها الخاص، الذي يركز على الرسالة لحسابها الذاتي (استهداف الرسالة بوصفها رسالة) لتصير خاصية الفعل الإبداعي حرّة طليقة وليس إجبارية"⁵⁰.

لقد أوضحت القراءة بهذا المفهوم النقدي الواسع والمتداخل في آن واحد في ضوء مستجدات الدرس التداولي، "...اتصالا مفتوحا بين القدرة والاستحالة، بين القدرة المرتبطة بلحظة القراءة والاستحالة المرتبطة بلحظة الكتابة"⁵¹ وهكذا يكون منطق التضمين واللغة الثانية المتخفية وراء قصد التواصل، قد أدى إلى التسليم بأن اللاقصد والطفيلي من حقه أن يجعل المخاطب في منزلة بين المنزلتين: فهو إما قادر على التوصل إلى إيجاد المعنى وما تخفيه الكلمة من دلالات، باعتبارها طاقة مشعة، وإما يعيش الإخفاق والاستحالة والعجز للوصول والإمسك بهذه المعاني، إلا أن النظرة الفاحصة تؤكد حصول وتحقق كلتا المنزلتين، وبعبارة أخرى يعيش المخاطب كلحظة أولية في التواصل تلك القدرة الخادعة على الفهم والتحديد، ولكن سرعان ما تتبدد هذه الحالة وتراجع ليعيش الضياع والاستحالة، ذلك أن للكلمة قانونها الخاص، فهي تضيق وتتسع فضفاضة مطاطية تحقق للمستقبل وظيفة التواصل وذلك من خلال شعوره وإحساسه بالفهم والإدراك والتحديد، لتعقها صورة أعمق وأوسع، وهي حين

تشعره بالاستحالة والوهم، حيث الوظيفة الشعرية تؤدي دورها لتحقيق الأبعاد الخيالية والجمالية، والآثار التي تبقى الحية، والتي يخلقها الفعل التواصل، وهذا ما يتمّ بفضل الانفتاح لحرية التواصل، وذلك بفعل هذا التضاد نفسه⁵² وفي السياق ذاته يضيف الدكتور محمد المبارك قوله: "تقتضي العملية التواصلية مخاطبا يرسل خطابا بواسطة اللغة إلى مخاطب أو مستقبل... وكل خطاب أدبي يعني توصلا بين المبدع والمتلقي، والوسيط النوعي بين الاثنين هو النص أو القصيدة... وينبغي أن يتوصل الاثنان المتلقي والمبدع إلى وعي بأهمية العامل المشترك بينهما وهو النص، إن اتفقا الضمني هذا يبرئ مجالاً لنمو النص في ذهن المتلقي، فهناك دافع يؤدي إلى إنتاج النص، وهناك استجابة المتلقي، وإن إدراك القيم المتضمنة في كل إبداع أدبي تجعل أحدهما مفهوما من الآخر... إن عملية التواصل مبنية على أساس الفهم المشترك، إذ يفرض وجوده في كل عملية تخاطب أدبي... وهذه الحقيقة التواصلية تعدّ أساسا ومنطلقا لعالم واسع من الإنتاج والتلقي، يتجاوزه طرفاه الكاتب النص المتلقي، إذ أن عملية التواصل والفهم المشترك من أكثر العمليات الأدبية دقة وصعوبة، لأنها تلخص العملية الأدبية برمته"⁵³ وتأتي هذه الدقة والصعوبة أيضا من العلاقة المتوترة بين اللغة والواقع، فهي ليست مجرد ناقل أصم وأجوف وإن كان ذلك هو اللبنة التي يتأسس عليها البعد التواصل، وهي كذلك ليست مجرد اختزال للفراغ الذي يجعل بينهما هذه الفجوات التي تملأها لغة التضمين ويسدّ فجواتها اللاقصود والعبثية، بل أكثر من ذلك "فالأدب بوصفه لغة غير متعدية، لا يتجه إلى نقل الواقع ولكن إلى مضاعفته، إنه خطاب منكمش على نفسه وذو دلالة غامضة ومنفلتة، والعمل الأدبي لأنه بالضبط يحدد كإنجاز نصي يرفض أن يكون حلا لطلاسم من نوع واقعي"⁵⁴ وهنا تحقق التداولية في معطاهما التواصلية أبعادا فلسفية ونقدية جديدة، مبنية على ثنائية المد والجزر مع الواقع، وعلى معالم جديدة للتعامل معه، فالنص الأدبي باعتباره صورة من صور التواصل اللغوي لا يسعى إلى نقل الواقع نقلا مفرغا، بل إلى مضاعفته، إذ في ضوء هذه المضاعفة تزداد طاقات التفسير والتأويل لدى القارئ، وفي كنفها تتحقق استقلالية اللغة، استقلالية لا تنفصل عن الواقع ولكنها تسعى لأن تنأى عنه بعيدا كي لا تقع في مغالطات المحاكاة وبرائن الكلاسيكية، إذ تأخذ منه مادته الخام لتصيرها عوالم جديدة، وتضعها ضمن قوالب حديثة وغامضة كلها تملص وتفلت، ويصير في كنفها فكّ شفراتها رافضا لأن يكون مستوحى من الواقع الأول المادي، الأمر الذي يجعل الرسالة تنفتح على آفاق رحبة وجماليات جديدة، ويدفع بالقارئ في الآن نفسه لأن يبحر ويرتحل من عالم لآخر، ينسى فيه غرض التواصل ليحل محلّه المتعة واللذة، تلك التي تأتي من مطاردة المجهور وتعقب بؤر المسكوت عنه من القول.

التداولية الحديثة واختزال الواقع:

إن العلاقة التي تقيمها الكلمة " بينها وبين الواقع، إنما هي علاقات احتمالية يتعدد بها المعنى، مما يولد اختلافا في الفهم يؤدي إلى اختلاف في الرأي وفي التقويم"⁵⁵ الأمر الذي يجعل اللغة " أوسع من أن تنحصر في حدود الواقع المعطى، إن فيها بعد اللانهاية في مجال التعبير الذي يستجيب لبعده اللانهاية في مجال المعرفة"⁵⁶ لقد بدأت التداولية تنتقل من المعنى التواصلية، ذلك الذي لا يدرك إلا " في سياق التواصل مما يسوّغ معه تسمية المعنى بمعنى المتكلم"⁵⁷ إلى المعنى في مفهومه الدلالي، ذلك الذي يرقى بالمعنى من حدود وسياق التواصل، الذي سرعان ما يموت أو ينتهي بانتهاء تأدية الرسالة لغرضها" على هذا النحو نلاحظ أن اشتغال النظام السيميائي التبادلي، يتأسس على أولويتين: الأولوية البنوية التي تصدر عن دينامية النص، والأولوية التداولية التي تصدر عن دينامية القراءة، إنه نتاج العلاقة التعاقدية بين القارئ والنص"⁵⁸ هذه الدينامية التي تجعل لغة التواصل دائما في توتر واهتزاز، ودائما في وقع نظام دينامي من الأنساق المتعددة، ما يفضي إلى الإنتاج وليس الاستهلاك، هذا الإنتاج الذي يجعل المخاطب مالكا لزام تفكيك هذه الأنساق وإعادة بنائها من جديد في لعبة لا تنتهي، إنها رحلة من الربط بين الدلائل والنظم والعلامات والعناصر المتعاقبة والمشكلة لهذا الفضاء الذي يأتيه التأويل ويغمره فيجعله، " يكشف اللامقول في النص، ويرفع عنه ما يواريه ويغطيه، ويزرع فيه روح التجديد إلى اللامتناهي من الدلالات...بغرض الحصول على أجوبة مرتبطة بمشروع الإنسان في الوجود من ظاهر وباطن"⁵⁹.

لقد بدأ الدرس التداولي الآن، يؤرخ لمنعطف جديد من التحولات، التي يعلن من خلالها قطيعته مع اليقيني الوثوقي من القيم، وذلك بفضل زاوية النظر الجديدة التي بات يعقدها مع مختلف العلوم والمباحث اللغوية غير اللغوية على حدّ سواء، إنه والحالة هذه يدفع إلى مزيد من التفكير والتأمل في حيثيات وبواطن اللغة، مقدما مفاتيح جديدة للاستبصار في هذا العالم، وحقائق أخرى توسع من مجال البحث ونطاق الاستكشاف.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة بيروت، ط01، 2005، ص:16.
- 2 المرجع نفسه، ص: 27.
- 3 محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2002، ص:12.
- 4 المرجع نفسه، ص:41 42.
- 5 حبيب مونسي، الواحد المتعدد النص الأدبي بين الترجمة والتعريب، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005، ص:57-56.

- 6 المرجع نفسه، ص: 58.
- 7 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 21.
- 8 المرجع السابق، ص: 59.
- 9 حبيب مونسي، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ص: 09.
- 10 حبيب مونسي، الواحد المتعدد النص الأدبي بين الترجمة والتعريب، ص: 60.
- 11 عبد السلام بنعيد العالي، ثقافة الأذن وثقافة العين، دار توبقال للنشر المغرب، ط02، 2008، ص: 63.
- 12 مصطفى منصور، نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخيلي بين سيرل وجينان، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع سيدي بلعباس، العدد 08، ط 2010، ص: 70.
- 13 المرجع نفسه، ص: 71.
- 14 المرجع نفسه، ص: 71.
- 15 المرجع نفسه، ص: 72.
- 16 فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار سورية، ط01، 2007، ص: 192.
- 17 رومان سالدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 1998، ص: 39.
- 18 المرجع السابق، ص: 145.
- 19 فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ص: 147.
- 20 أنروبال، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ط01، 2003، ص: 197.
- 21 محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي لبنان، ط02، 2007، ص: 65.
- 22 يوسف وجليسي، تحولات الشعرية في الثقافة النقدية العربية الجديدة (بحث في حفريات المصطلح)، مجلة عالم الفكر الكويت، المجلد 37 مارس، 2009، ص: 09.
- 23 المرجع نفسه، ص: 24.
- 24 حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، ط01، 2007، ص: 311.
- 25 المرجع نفسه، ص: 267.
- 26 المرجع نفسه، ص: 267.
- 27 المرجع نفسه، ص: 269.
- 28 المرجع نفسه، ص: 270.
- 29 المرجع نفسه، ص: 270.
- 30 حسن ناظم، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، ط01، 1994، ص: 09.
- 31 المرجع نفسه، ص: 17.
- 32 سعيد حسن البحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع مصر، ط01، 2008، ص: 205.
- 33 محمد البازي، التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات الاختلاف، ط01، 2010، ص: 72.

- 34 مجموعة من الكتاب، اللغة الفنية، تعريب وتقديم: محمد حسن عبد الله، دار المعارف القاهرة، دط، ص: 17. 18.
- 35 المرجع نفسه، ص: 26.
- 36 جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي . محمد العمري، دار توبقال للنشر المغرب، ط 01، 1986، ص: 197. 198.
- 37 المرجع نفسه، ص: 192.
- 38 محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، اللغة، دار توبقال للنشر المغرب، ط 04، 2005، ص: 65.
- 39 المرجع نفسه، ص: 65.
- 40 خليل أبو جهجة، الحدائث الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد، دار الفكر اللبناني، ط 01، 1995، ص: 215.
- 41 المرجع نفسه، ص: 222.
- 42 مجموعة من الكتاب، نظريات القراءة من البنوية إلى جمالية التلقي، ترجمة عبد الرحمن بوغلي، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، ط 01، 2003، ص: 127.
- 43 محمود فهد زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، دط، ص: 106. 107.
- 44 جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة وتقديم، عمر مهيبيل، منشورات الاختلاف، ط 1، 2006، ص: 11.
- 45 المرجع نفسه، ص: 11.
- 46 المرجع نفسه، ص: 11.
- 47 عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، منشورات الاختلاف، ط 01، 2010، ص: 79.
- 48 راجع ستيفان أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمه وقدم له وعلق عليه: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط 12، ص: 252.
- 49 عمر أوكان، النص والسلطة، دار إفريقيا الشرق، ط 02، 1994، ص: 88.
- 50 المرجع نفسه، ص: 89.
- 51 موريس بلانشو، أسئلة الكتابة، ترجمة: نعيمة بنعبد العالي . عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط 01، 2004، ص: 51.
- 52 المرجع نفسه، ص: 52.
- 53 محمد المبارك، استقبال النص عند العرب، النشر بيروت، ط 01، 1999، ص: 153.
- 54 فانسان جوف، الأدب عند رولان بارت، ترجمة: عبد الرحمن بوغلي، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع سورية، ط 01، 2004، ص: 97.
- 55 أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، ط 03، 2000، ص: 75.
- 56 المرجع نفسه، ص: 77. لقد بدأت التداولية الآن
- 57 عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط 01، 2004، ص: 22.
- 58 محمد بوغزة، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، منشورات الاختلاف، ط 1، 2011، ص: 43/42.
- 59 عبد القادر فيدوح، إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، دار صفحات للدراسات والنشر دمشق، ط 01، 2009، ص: 07.